الإبداع الفني الفاعل

د. ناصر عبد الواحد الشاوي

مدخـــــــل:

اذا ما استثنينا حضارات الشرق القديم التي لم يظهر للفنان الفرد دور فيهـا رغم وجود اعمال فنية ابداعية، فان حضارة بلاد اليونـان، خـلال الفتـرة الكلاسيكية مثلاً، تظهر دور الفنانين الافراد في تطور الفنون التشـكيلية، وفي وضع مقاييس جمالية دقيقة لجسم الانسان، التي لابد من تطبيقها في فن النحت للوصول الى غاية الجمال، ومع الاحكام الشديد لتلك القياسات والنسب فقد غيرت عن عمد من قبل فنانين لاحقين اذ لم تعد هذه المقاييس هي الاكثر جمالا لديهم. فالفنانون الذين وضعوا تلك القواعد والمقاييس التي لم تكن موجـودة قبلهم مثل بوليكلايتوس (Polycleitus) هم بكل تاكيد فنـانون مبـدعون[١]، والفنانون الذين خرجوا عن تلك المقاييس جاءوا باخرى غيرهـا تلائـم روح العصر الذي عاشوا فيه هم مبدعون كذلك. ويصح الامر على فنـاني الامـم الاخرى. فالنحاتون العرب قبل الإسلام مثلاً اوجدوا مقاييس جمالية خاصة بهم، وتاكيداً على دورهم الابداعي، حرصوا على تثبيت اسمائهم على بعض الاعمال الفنية التي انجزوها[٢].

ومع ان الاعمال الفنية القديمة بمجموعها تمتلك قيمة اضافية كونهـا اثـارا حقيقية لنشاطات الانسان المختلفة ودلائل تفصح عن اعماله وافكـاره، فانهـا اعمال ابداعية تحسب للمجتمع باسره قبل ظهور دور الفنان الفرد، وللفنـانين الذين ابدعوها اعتباراً من النصف الثاني للالف الاول الميلاد وحـتى الوقـت الحاضر، وسيبقى الامر كذلك في المستقبل.

ان الدارس للفنون التشكيلية خلال عصر النهضة وبعده، يدرك الدور الكبير الذي قام به بعض الفنانين حين ابدعوا اعمالا جديدة واصيلة في موادها ومواضيعها ومضامينها واساليب انشائها، فكانت تلك الاعمال الفنية فاعلـة

بحيث غيرت مسار الفنون التشكيلية ودورها ومكانتها في حياة الفرد والمجتمع، مما جعل أولئك الفنانين وأعمالهم الفنية علامات مضيئة نابضة لا يمكن اغفالها عند القاء الضوء على تاريخ الإبداع في الفنون التشكيلية[٣].

ومع ظهور الفنانين الانطباعيين بعد منتصف القرن التاسع عشر، اصبح أمر الإبداع الفني اكثر وضوحاً، وبدأنا نتكلم عن جماعات فنية وفنانين رواد لتلك الجماعات، وأراء فكرية دافعة باتجاه تغيير جديد في مسارات الفنون التشكيلية[٤]، إذ استخدم مصطلح الفن الحديث ليدل على "أسلوب يخرج عن الاعراف السائدة ويسعى لخلق اشكالاً اكثر ملائمة لاحساس وادراك عصر جديد"[٥]، وعلى هذا الأساس فان الاعمال الفنية التشكيلية الحديثة هي اعمال متقدمة عند الحكم عليها بمقاييس الاعراف السائدة، وتتسم بالجدة ضمناً، لذا فهي اعمال فنية ابداعية، رغم انها لم تلق مثل هذا التقدير زمن ابداعها[٦].

الحالة في الوطن العربي:

تقدمت الفنون التشكيلية في الوطن العربي تقدماً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية وخلال النصف الثاني من القرن العشرين، وشهدت بروز فنانين عرب على المستوى القطري والقومي، والعالمي احياناً، من مصر والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من الاقطار العربية الاخرى. وعد هؤلاء الفنانين رواداً لحركة الفنون التشكيلية المعاصرة، سواء في اقطارهم او على مستوى الوطن العربي، ويمكن عد اعمالهم الفنية اعمالاً ابداعية فاعلة لدورها في تغيير مسارات حركة الفنون التشكيلية وجعلها اكثر ملائمة لاحساس المجتمع العربي الجديد، واكثر قبولاً وانتشاراً بين الاجيال الفنية اللاحقة.

ويمكن اجمال العوامل المؤثرة في بعث وتقدم الفنون التشكيلية في الوطن العربي ودفعها الى مستوى الاعمال الفنية الابداعية بمل يلي:

١- العامل الثقافي واتصال بعض الاقطار العربية بالعالم الاوربي بعد الحرب العالمية الاولى.

٢- العامل السياسي ونزوع العرب نحو الحرية مما دفعهم الى العمل على التخلص من الانتداب الاوربي والاستقلال عنه.

٣- العامل الاقتصادي والتقدم الكبير الذي احرزته بعض الاقطار العربية بفضل اكتشاف البترول واستغلال مصادر الثروة الاخرى.

٤- فعل الارث الحضاري والفني الكبير للوطن العربي وخاصة في وادي النيل وبلاد الشام ووادي الرافدين، والشعور العميق بضرورة التواصل معه ومع الارث العربي الاسلامي الذي يتصف بالاصالة والجدة والتفرد.

لقد تداخلت هذه العوامل مع بعضها البعض مفعلة النشاط الثقافي، والفني على وجه الخصوص، ومسخرة له لخدمة تطلعات الفنانين بصفتهم عناصر اجتماعية واعية، معبرة عن اهدافها واهداف المجتمع الذي تنتمي اليه، من خلال ابداعاتها الفنية، لذا حرص بعض الفنانين منذ خط الشروع الاول على رسم خط سير جديد لحركة الفنون التشكيلية يتصف بالاصالة ويهدف لخدمة الانسان في المجتمع العربي، ومن خلال خدمة الانسانية في كل مكان، وكان في مقدمتهم في العراق المرحوم جواد سليم.

ومع وضوح الهدف لدى بعض الفنانين، والذي ادى الى انجازهم اعمالاً فنية ابداعية تمتلك قدرة التاثير والفعل، فان اخرين منهم اعتمدوا على تاسيس انفسهم بتقديم اعمال فنية تعد في شكلها وموضوعها، جديدة على المثقفين ومتذوقي الفنون، ولحماس بعض (النقاد) ورغبتهم في تحقيق الذات باشغال

كراسي النقد التي استجد وجودها بفعل ازدهار النشاط الفني التشكيلي وافتتاح المعارض الشخصية والجماعية، وتسارعهم لتطبيق مقاييس جمالية ونقدية معاصرة مستمدة من اراء الفلاسفة والنقاد الاوربيين، ولغايات اخرى في نفوسهم، وصفت الكثير من الاعمال الفنية، ولم تزل توصف، بانها اعمالا ابداعية، وان اصحابها هم فنانون مبدعون، فروجت مفاهيم وعتمت اخرى حتى انحرف بعض الفنانين وكثير من الممارسين للعمل الفني التشكيلي عن خط الشروع الاول[٧]، وآلت الى متاهة غدت فيها اعمال بعض من هم في مقدمة الركب مجردة من أي دلالة او مضمون. وسقط فنانون اخرون في دوامة التكرار لعدة عقود، وبعضهم لم يزل فيها، فكانوا نمطيين اتفاقيين (Convergent) يدورون في اماكنهم دون ما تجديد. واتخذ نفير ثالث التقليد منهجياً لهم ومدوا جذوراً لا يمكن وصفها باي حال من الاحوال بالاصالة عند الرجوع الى الفكر والفن العربي، ولا بالجديدة عند الرجوع الى الفن والفكر في العالم.

الابداع الفني:

ازاء الموقف الغامض المنقسم الذي تم عرضه سابقاً، والذي يظن فيه كثيرون انهم فنانون تشكيليون مبدعون، او هكذا يروج لهم نفر من (نقاد) الفن التشكيلي، وقد لا يراهم بعض المحافظين كذلك، يصبح من الضروزي ان نتساءل ما هو الابداع الفني؟ وهل هو استعداد فطري ام انه يتاثر بعوامل نفسية واجتماعية وعقلية؟

لقد درست مشكلة الابداع من قبل بعض علماء النفس وعلماء الفسلجة، فيرى فرويد (Freud) ان الابداع ما هو الا نشاط جنسي الدافع، يتسامى ويحقق اهدافاً نافعة ذات قيمة للمجتمع. وملخص راي فرويد ان الصراع هو

منشا العملية الابداعية، وان الحل الابداعي يحصل بفعل قوى لا شعورية ووظيفته هي اطلاق الانفعالات المكبوتة لدى المبدع منذ عهد الطفولة، وان الابداع ما هو الا استمرار وتعويض عن لعب الطفولة[٨]. ويرى اخرون ان دور اللاشعور قد يكون معرقلا للعملية الابداعية رغم انهم يؤكدون ان السلوك الابداعي وليد طاقة جنسيه او سلوك عدواني مكبوت، وان المبدع يتميز بقدرته على استخدام قدرات عمليات عقلية لا شعورية. اذ يؤكد كوبي (Kubie) "ان العملية الابداية هي نتاج نشاط ما قبل الوعي... (و) يمكن للاوعي ان يحرص ويحث، بينما يقوم الوعي بالتحسين والتقييم والنقد..." [٩] بينما ركز اخرون على الطبيعة الانسانية الراغبة بالاتصال مع الاخرين بغية تحقيق الذات واشباع نزعة التطور، والحصول على التميز الذي يورث السعادة والانسجام التام بين العقل والعاطفة، أي ان الطبيعة الانسانية هي الدافع الكامن وراء العملية الابداعية، وهو، أي الابداع، حالة سيكولوجية طبيعية ووليد قدرة فطرية يمتلكها بعض الناس دون غيرهم، والمبتكرون اما ان يكونوا موهوبين (Gifted) واما ان يكونوا مبدعين (Creative). والموهوبون هم غير المبدعين اذ ترتبط الموهبة بالذكاء، بينما لا يشترط ارتباط الذكاء بالابداع، وهناك من يعد الابتكار وليد عملية يمارسها الدماغ بتعامله مع البيئة وخاصة البيئة الاجتماعية والثقافية[١٠]. فضلاً عن ان الابداع الفني مرتبط بالصحة النفسية والجسمية السليمة[١١] معا وبطبيعة الانسان الاجتماعية الخيرة. وهذا عكس ما ذهب اليه فرويد تماما. وربط غلفورد (Guilford) بين الابداع وبين العقل، كما فعل الامر نفسه غالتون (Galton)، ومن بعده سبيرمان (Spearman) وغيرهم، فضلاً عن ان غلفورد ربط بين الابداع والطبع (Temperament) والدافعية (Motivation)، وهذه خصائص لا استعدادية ولا تتعلق بالقدرات العقلية[١٢].

ويميز غلفورد اربعة من المعلومات هي: الاشكال، والرموز، والمعاني، والسلوك، وهذه المعلومات بتقديره ضرورية للمبدعين في حقول: الفن التشكيلي، الرياضيات، والمنطق، المجالات اللفظية، والانجازات الاجتماعية والسياسية على التوالي. وتعتمد الاعمال الفنية التشكيلية على معلومات الاشكال المستمدة بوساطة الادراك الحسي البصري بشكل خاص، لكن الكثير من الفنانين برايه يتميزون بالتفكير المتباين (Divergent Thinking)، ويعالجون موضوعاتهم باكثر من معلومة من اجل الوصول الى الانتاج الابداعي[١٣].

ويرى برغسون (Brigson) "ان جوهر الابداع هو انفعال"، ويميز بين نوعين من الانفعال الاول (تحت عقلي) سطحي، والثاني (فوق عقلي) عميق، ويعد الثاني جوهر العملية الابداعية التي تخرج الى الوجود بوساطة الحدس[١٤].

ويتميز يونغ (Jung) في تفسيره للابداع الفني بانه قسم الناس من حيث امزجتهم الى فئتين: الاولى اجتماعية، والثانية انطوائية، وهي على النقيض من الاولى، وقسم كل من الفئتين الى اربعة انماط فرعية، وعد الفنانين من الفئة التي يتغلب فيها النمط الحدسي، بمعنى انهم اما ان يكونوا اجتماعيين حدسيين او يكونوا انطوائيين حدسيين، فضلاً عن انه يؤكد مفهوم اللاشعور الجمعي والارث الذي يحمله الفرد عن اسلافه، ويعده منبعاً للابداع الفني[١٥].

ان الابداع في حقل الفنون التشكيلية براي عامة الباحثين يتطلب استعدادات خاصة لها دورها الفاعل في العملية الفنية مقارنة بالابداع في مجال العلوم. ووجود مثل هذا الاستعداد لا يفضي بالضرورة الى ابداع فني وذلك لاهمية عوامل اخرى: عقلية، انفعالية، ودافعية، ومدى دورها وفاعليتها في العملية الابداعية[١٦].

ويرى نوري جعفر ان ارتباط الابداع باليات الدماغ وثيق، ويتمتع به الانسان وحده، وان الاشخاص الفنانين يتمتعون بمناطق حسية المخ، وهي متطورة من حيث عدد خلاياها العصبية، وهذا راي جامع لما ذهب اليه ابرز علماء الفسلجة الالمان والبريطانيون والايطاليون والسوفيت والامريكان[١٧]. والابداع الفني لديه هو عملية مخية متطورة تقوم بها المناطق الثلاثية الحسية التي تبلغ فيها الاستثارة حدها الاقصى، اذ يقصى كل ما ليس له علاقة بالموضوع ويتم ابطال مفعوله، على حساب انتشار الاثارة في ارجاء المخ وتلاقحها او تفاعلها لفترة من الزمن تستغرق سنين طويلة، لكن ولادتها قد تحصل فجاة بعد تمام نضجها في حالة اطلق عليها "مخاض الابتكار"[١٨]. فالقدرة على الابتكار[١٩] (الابداع الفني) هي "صفة مكتسبة تنشا بالتدريب والممارسة نتيجة تفاعل امكانية الشخص المخية مع العوامل البيئية المحيطة لاسيما الثقافية منها... وان حوافز الابتكار اجتماعية الجذور تنبثق في الاصل من مستلزمات الحياة الاجتماعية عندما تتوافر الشروط الموضوعية والذاتية"[٢٠].

ويربط نوري جعفر بين الابتكار والمشاعر، بمعنى ان الابتكار لا يحصل مالم يسبقه موقف انفعالي مثير ومحفز "لكن الابتكار لا يحصل بشكله الايجابي المثمر مالم تتحرر عملية الابتكار ذاتها من ذلك الموقف الانفعالي بحيث يتسنى للمرء ان ينظر الى المسالة التي بين يديه نظرة صائبة مبنية على الملاحظة الدقيقة الواعية والاستنباط الصائب"[٢١]. أي ان عملية الابداع برايه تستلزم المشاعر لحدوثها ولا تستلزمها بعد ذلك حتى لا تعمل على افسادها[٢٢].

اذن لابد من استبعاد العاطفة والمشاعر خلال عملية التفاعل او الحمل، وبدون ذلك تتحول عملية النمو الانفعالي الطبيعية الى نمو مشاب لا يولد بالنتيجة عملاً فنياً ابداعياً فاعلاً[٢٣]. وتزداد عملية الاشابة هذه عند حصول أي

لانجاز اعمال فنية جديدة وحتى اصيلة وفق تقويم الجماعة ذاتها، الا انه لا يجعل منه مبدعاً لاعمال فنية فاعلة بالمعنى العام.

ان وجود تراكم فني كبير في الوطن العربي بفعل العامل الاجتماعي التاريخي، ممثلاً بحضارات وادي الرافدين، ووادي النيل، وبلاد الشام، وحضارة العرب قبل الإسلام وبعده، كفيل بان يجعل الفنانين العرب مهميئين اكثر من غيزهم للابداع الفني الفاعل بمعناه العام. وبهذا الصدد يرى روبنشتاين (Rubinstein) انه "ينبغي على الفنانين ان يمثلوا العام ليس في اطار الافكار فحسب، بل في اطار التصور ايضاً حيث يوجد الفردي الى جانب العام"[٣٠]. ان الحث على الاستقلالية الفعلية وخلق الظروف الملائمة لتطور الاستعدادات والاهتمامات في مجالات النشاط المختلفة يمكن للفنان فيه مواصلة نشاطاته وانجاز الاعمال الفنية التي يفكر بها. وتتداخل في خلق هذا الوسط عوامل مختلفة: اجتماعية، اقتصادية، وثقافية، تسهم في تسهيل مخاض العملية الابداعية وولادة العمل الفني. وفي حالة انعدام ذلك المناخ تحيط العملية الابداعية وهي محض جنين او تجهض قبل عملية الولادة بظهور بوادر حمل فني قد تكتب او لا تكتب له ولادة ميسرة[٣٢].

العملية الابداعية:

ان الفنان يرى الاشياء من حوله ويحس بها اما بوصفه ممثلاً للمجتمع الذي هو فيه، او ممثلاً لشريحة منه، لكونه فرداً يستشعر ما لا يحسه الاخرون من افراد المجتمع، او يعبر بصرياً عما لا يمكنهم التعبير عنه. فمخيلة[٣٣] الفنان التشكيلي قادرة تحويل ما يراه من صور او ما يدركه من معان مجردة الى صور مرئية او مدركه بالحواس، مما يجعل منه عيناً لذلك المجتمع او وسيلة من وسائل التعبير فيه

وعنه. وقد تمتد تطلعات الفنان ويزداد افقه اتساعاً بحيث يحس ما يحسه العالم من حوله كفرد فيه، وبذلك يكون الذي يقدمه من اعمال فنية، سواء كانت صورة ماخوذة عن المجتمع الذي يعيش هو فيه ويشكل جزءاً منه او انها ماخوذة من مكان اخر وقم بتقديره الانسان اينما كان فيصبح الفعل الفني متعدياً لا قطرياً ضيقاً.

وعلى الفرد الفنان[٣٤] ان يسمو بحسه حتى لا يخضع للسلطة او قد يحد من حريته في التعبير او يحرفها عن مساراتها سواء في تناوله للموضوع او في توظيفه للاشكال والعناصر والرموز فيه. وفي هذه الحالة وحدها يكون عمله مرشحاً لان يكون عملا فنياً ابداعياً فاعلاً[٣٥]. ان خضوع الفنان لتوجيه مباشر من أي سلطة خارجية: سياسية ام اقتصادية ام اجتماعية ام اخلاقية، تحد من البعد الانساني في اعماله الفنية، تقلل او تعدم فرص بلوغها مرتبة الابداع الفني الفاعل بمعناه العام، وان وصفت انها اعمال فنية ابداعية، واذا ما وصل التوجيه الى حد تغيير التشكيل وتبديله بالحذف والاضافة، فان مثل هذا العمل مهما وصل من دقة في الانشاء وقوة في التعبير ومهارة في الانجاز، فانه لن يصل الى مرتبة الابداع الفني بمعناه العام الا وفق مقاييس اخرى هي بكل تاكيد دون مقياس الابداع الفني الفاعل. وقد يشفع لفنان احياناً انه يوظف قدرة هذه القوى الخارجية وفعلها، في توليد عصف ذهني لديه في عمليتي الانفعال والتفاعل[٣٦] بين جزيئات الموضوع الفني، مما ييسر عملية الحدس او التولادة ويترك فرصاً امامه لانجاز عمل فني ابداعي.

ان المنبه الاول او المحفز لموضوع العمل الفني قد يكون خارجياً، لكن عملية الانفعال والتفاعل لابد ان تكون برمتها عملية داخلية، واعية او غير واعية، وان لا تسقط في هوة الافتعال الذي قد يولد اشكالاً معبرة لكنها بكل تاكيد

ستكون ثمار كاذبة فاقدة لقدرة الفعل وان خيل للبعض انها اعمالا فنية نابضة فلا شك في ان فعلها ناضب وانها ستهمد بعد حين، وان امتازت بوصفها اصيلة وجديدة ونافعة للمجتمع[٣٧]، وحصلت على الاطراء والثناء من قبل طالبيها ومشاهديها. اذا ما اتفق المختصون انها رغم ذلك ارتقت الى مرتبة الابداع الفني، فان الفضل في ابداعها في مثل هذه الحالة النادرة ان وجدت، يعود الى طالبها ومحدد تفاصيلها، او راسم صورتها الاصلية تخيلاً، لا الى منجزها الذي لا يتعدى دوره الالة المنفذة[٣٨]، وهذا ما لا يتفق وراي معظم الباحثين الذين يرون ان العملية الابداعية هي: "العملية التي تقود الى انتاج يتصف بالجدة والاصالة والقيمة من اجل المجتمع"[٣٩].

ويتسبب الانفعال في عملية التفاعل يشترك فيها، وقد تتم هذه العملية وفق تخطيط مسبق منظم، او قد تتم بدونه ظاهرياً لكونه تم فعلا في زمن سابق واصبحت نتيجته تنتظر فرصة حصول الباعث لتطفو على السطح دون عناء وتولد بما يعرف بالحدس او الومضة[٤٠]، ولا مكان للالهام في مثل هذه الولادة المفاجئة. والفنان براي يونغ "شخص يشرق عليه كل شيء في ومضة"[٤١]. لكن الانفعال لا يؤدي بالضرورة الى ولادة انجاز فني ابداعي الا اذا كان منسجما تماماً مع الباعث، مستفيداً من الخبرات السابقة التي مر بها الفنان دون ان يخالطها اقتفاء اثر الغير او النقل عنهم، وانبدى ذلك وهما لاخراج العمل الفني بصورته النهائية. واذا ما احدث الباعث انفعالاً انعكاسياً او مفتعلا دون عملية تفاعل، او بعد عملية تفاعل غير تامة ولا شاملة فان اثر مثل هذا العمل الفني لن يكون فاعلاً وانه سيزول بمجرد انجازه او عرضه لاول مرة.

ان الحرية التامة لانجاز العمل الفني الابداعي الفاعل ابتداءا من الومض الاول الباعث[٤٢]، وخلال عملية التشكيل والنمو، وعند بدء فيض الولادة ودفقها

في عملية التشكيل النهائي لصورة العمل الفني والحرية المطلوبة هنا هي شرط داخلي، بمعنى ان الفنان يتمتع بها وان كانت مفقودة في الوسط الذي يعيش او ينجز اعماله الفنية فيه. مثل هذه الحرية الداخلية قد لا تكون متحققة بالضرورة لدى الفنانين الذين يعيشون في مجتمعات توصف بانها متمتعة بالحرية.

وليست الحرية بإطلاق عنان الخيال بعيداً عن المثل الإنسانية المتراكمة، والدور الذي اخذه الإنسان في اعمار الأرض، بل ان هذا شرط لازم لابد من توفره في العمل الفني الابداعي. وفي حين ان شارل لالو (Lalo) لا يستغرب البتة في ان اتجاه فنون الغد سيكون "شطر اللعب اكثر من انتحائها منحى الجد"[٤٣]. وهذا في الواقع ما ذهب اليه كثيرون وقالوا في ان وظيفة الفن لهو ولعب حر امثال كانت (Kant) وشلر (Schiller) وسبنسر (Spencer)[٤٤]. فان دسوار (Dessoir) واوتيتس (Utits) يرون ان للفن اهدافاً ووظائف في الحضارة "دينية وقومية ونفعية وعاطفية"[٤٥]. وهذا الراي الاخير يبدو الاصوب، وهو اكثر ملائمة لوظيفة الفن عبر التاريخ، فليس العمل الفني اتشكيلي الابداعي محض حرية لعب، وان كان كذلك، افتقد عنصر الاصالة وطاقة الفعل المؤثرة بمتذوقيه.

النتائج والاستنتاجات:

١- مع ان الباحثين يتفقون على ان تحقيق شروط الجدة والاصالة في العمل الفني والعلمي، فضلاً عن كون العمل ذا فائدة للمجميع، يجعل منه عملاً فنياً ابداعياً، فان مثل هذه الشروط غير كافية بالضرورة لضمان ابداع اعمال فنية تشكيلية فاعلة، وان ضمنت انجاز عمل فني ابداعي بالمفهوم العام.

٢- ان الابداع الفني التشكيلي عمل انفرادي، ويمكن ان يكون ابداعاً جماعياً وان حصل فهو رغم ذلك نتاج افراد.

٣- تنجز الاعمال الفنية الفاعلة عندما يتحرر مبدعوها من كافة القيود الخارجية باستثناء تلك التي تفرضها الطبيعة الخيرة للانسان، أي ان اعمالهم كانت حصيلة تفاعل صادق بث بها طاقة فاعلة دائمة النبض، وبعكس ذلك تكون الاعمال الفنية مشابهة وغير ابداعية.

٤- انصفات الكذب واللهو واللعب الحر، التي يتسم بها العمل الفني الابداعي بغية تحقيق الجمال، من وجهة نظر الفلاسفة والمنظرين الغربيين، لا تتلاءم وطبيعة فكر الانسان العربي، كما لا تصلح لتفسير فنون المراكز الحضارية في البلاد العربية عبر التاريخ التي تنطبق عليها مواصفات الابداع الفني الفاعل.

٥- تفاعل الفنان مع أي حافز للابداع الفني قد يكون سطحياً مفتعلاً او قد تتدخل فيه عوامل خارجية اخرى تشيبه، فتنعدم احتمالات ابداع عمل فني فاعل وان حظيت اعمالهم الفنية باهتمام كبير، او ارتقت من وجهة نظر بعض (النقاد) الى مستوى الابداع الفني.

٦- تقويم أي عمل فني من قبل أي كان بانه عمل فني ابداعي فاعل لا يعد وثيقة لا تقبل النقض على مر العصور، بمعنى ان طاقة فعل التاثير في العمل الفني قد تكون ناضبة، وعندما يفقد العمل صفة (الابداع الفني الفاعل).

٧- حكم (النقاد) ومتذوقي الفنون التشكيلية او دعاتها ومموليها على انّ عمل فني بانه يستحق او لا يستحق وصف (ابداع فني) لا يعد حكماً نهائياً يعتد به، بل هو حكم قابل للتمييز والنقض من قبل نقاد الفن ومتذوقيه في زمنه[٤٦] والزمن التالي. وقد لا يعد العمل الفني التشكيلي عملاً فنياً ابداعياً فاعلاً في الظرف الذي ابدع فيه لعلة معلومة او خفية، ويعد ابداعاً في ظرف او زمن لاحق.

الهوامش

(١) استخدام نوري جعفر مصطلحات: الابداع، الاصالة، الخلق، الابتكار للتعبير عن المعنى نفسه. ينظر: نوري جعفر، الاصالة في مجال العلم والفن، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩، ص٥.

(٢) ناصر عبد الواحد الشاوي، "الفنون في العراق خلال العصرين السلوقي والفرثي ومشكلة تكون الفن العربي". الاكاديمي، المؤتمر العلمي الثالث، كلية الفنون الجميلة-جامعة بغداد-١٩٩٥، ص٧٢-٧٣.

(٣) مثلاً جيوتو، دافنشي، غبرتي، دوناتلو، مايكل انجلو وغيرهم.

(٤) لم يترد هربرت ريد، النحت المعاصر، ص٧.

(٥) هربرت ريد، المصدر السابق، ص٩. عند تعميم هذا التعريف لا يصبح مصطلح الفن الحديث خاصاً بعصر دون غيره. بل ان فن كل عصر او فترة لاحقة قصرت ام طالت هو فن حديث بالنسبة لما سبقه.

(٦) لم تلق اعمال لفنان فان كوخ تقديراً يذكر في زمنه رغم كونها اعمالاً فنية ابداعية.

(٧) خلال عقد الستينات انجز الفنان العراقي المبدع فائق حسن اعمالاً فنية تجريدية في شكلها ومضمونها، لم يفقه فيها، على حد علمي أي فنان عربي سابق او معاصر له، وقدمها في معرض خاص نال اعجاب جميع المهتمين في الفنون ونقلها الى الولايات المتحدة، غير انها كانت برمتها خارجة عن خط شروعه الاول الذي ما لبث ان عاد اليه فابدع اعمالاً فنية بعضها محفوظ في العراق وتسرب جلها الى الخارج.

(8) Getzels, J-W-& Jackon, p.w. Intelligence, New Yourk, 1962, p.91.

عن قاسم حسين صالح، الابداع في الفن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨، ص١٦-١٧.

(٩) الكسندر روشكا، الابداع العام والخاص، ت. غسان عبد الحي ابو فخر، سلسلة عالم المعرفة ١٤٤، الكويت، ١٩٨٩، ص٢٤.

(١٠) نوري جعفر، الاصالة في مجال العلم والفن، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩، ص١٩-٢٥.

(١١) افتقر الفنان العراقي جواد سليم الى صحة النفسية والجسمية ومع ذلك انجز واحداً من الاعمال الفنية الابداعية للقرن العشرين. ناصر الشاوي، جريدة الجمهورية، العدد ٨٣٣٠ في ١٩٩٢/١١/٢.

(١٢) الكسندر روشكا: ص٢٥.

(١٣) عن المصدر السابق: ص١١٩.

(١٤) مصطفى سويف، الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٩، ص٢٠٨-٢١٤. عن القاسم حسين صالح: ص٧٦.

(١٥) للمزيد عن الملخص راي يونغ يراجع: قاسم حسين صالح، ص١٨-٢١.

(١٦) الكسندر روشكا: ص١١٧.

(١٧) نوري جعفر، ص٣٥-٣٦-٢٨-٣١.

(١٨) المصدر السابق، ص٥٢-٥٣.

(١٩) يراجع الهامش رقم "١".

(٢٠) نوري جعفر، ص٥٣-٦٩.

(٢١) المصدر السابق، ص٩١.

(٢٢) اكد كافة المنظرين في الابداع الفني، بما فيهم نوري جعفر على تفسير عملية ولادة الصورة الذهنية الابداعية. ووقفوا دون تفسير المهارة اليدوية العالية، والقدرة على مجانسة الصورة الفنية المنجزة شكلاً ولوناً مع الصورة الذهنية، التي يتمتع بها بعض الفنانين، في حين يعجز اخرون رغم التدريب الطويل على مضاهاتها. يذكر ان الفنان جواد سليم اراد ان يعمل تمثالاً لزميله الفنان فائق حسن فنحت يديه لا وجهه اعترافاً منه بقدرتهما الفائقة على رسم والتلوين.

(٢٣) حول فعل التعبير يراجع: جون ديوي، الفن خبره، ت: زكريا ابراهيم، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٠١-١٤٠.

(٢٤) شارل لالو، الفن والحياة الاجتماعية، ص٢١٠.

(٢٥) رغم اهمية الحركة المستقبلية (Futurism) في دراسة تاريخ الفن التشكيلي، والتي امتدح زعيمها مارينتي (Marinetti) جمالية العنف والحرب، وربط بين المستقبل المشرق وتدمير اثار الماضي المُيت " " بما في ذلك الاعمال الفنية الابداعية، فان هذه الحركة ماتت في مهدها ولم تجد لها انصاراً او مؤيدين خارج ايطاليا.

(٢٦) فاخر عاقل، الابداع وتربيته، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٧١-٧٣-٢٩.

(٢٧) عن الكسندر روشكا: ص١٢٦.

(٢٨) عن المصدر نفسه: ص١٢٥.

(29) Leboutet,L.Lacre'ativitee(1950-1968),"Annee psychol,"fase. 2,1970 presses Univ. de France..١٢٦ عن الكسندر روشكا: ص

(30) Rubinstein, Grundlagen der allgemeine Psychologie. Vokund Wissen, Berlin, 1962, P.172..١٠٧ عن الكسندر روشكا: ص

(٣١) الكسندر روشكا: ص٨٤.

(٣٢) للمزيد عن المناخ الابداعي يراجع المصدر السابق: ص٨٣-٩٦.

(٣٣) الخيال هو "التوافق الشعوري الجديد مع القديم" جون ديوي، الفن خبرة، ت، زكريا ابراهيم، القاهرة ١٩٦٣، ص٤٥٩.

(٣٤) لا علاقة البتة بين انجاز العمل الفني الفاعل والجنس، ذكراً كان ام انثى، ولا علاقة له بالجماعة التي ينتمي اليها الفنان او قوميته الا بالقدر الذي يعطيه بعداً انسانياً متفرداً يجعل منه عملاً فنياً نابضاً خارج حدود المكان والزمان الذي انجز فيه.

(٣٥) اقنع الزعيم عبد الكريم قاسم انه لابد من وضع صورته في تشكيل نصب الحرية الذي انجزه جواد سليم عن ثورة الشعب في ١٤ تموز-١٩٥٨ باعتباره قائداً لها، فرفض جواد سليم ذلك، وما غضب عليه عبد الكريم قاسم.

(٣٦) للمزيد عن التفاعل يراجع: جون ديوي، ص٤٥٩.

(٣٧) العمل الفني الذي يصور تفكيك اول محطة فضاء او احراقها للتعبير عن رغبة الانسان في التقدم العلمي مثلا لا يكون بالضرورة عملاً فنياً ابداعياً، ناهيك ان كان الباعث على التنفيذ خارجياً.

(٣٨) هل يمكن ان يشترك اكثر من شخص في انجاز عمل فني ابداعي فاعل؟ اشك في ذلك مالم يكن هناك فنان يخضع لرايه جميع الفنانين الاخرين.

(٣٩) الكسندر روشكا: ص١٩-٣٣.

(٤٠) الومضة براي بونكاريه (Poincare) هي "ثمرة عمل لا شعوري متواصل وطويل" عن نوري جعفر: ص٢٣.

(٤١) عن قاسم حسين صالح، الابداع في الفن، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٠.

(٤٢) الباعث هو المثير طاقة الفعل او ماهيته القادرة على احداث الفعال وتفاعل بشكل المخاض الذي تتلبس فيه الفكرة المجردة الشكل المحسوس، فيولد العمل الفني.

(٤٣) شارل لالو، الفن والحياة الاجتماعية، دار الانوار، بيروت،١٩٦٦، ص٢٧٤.

(٤٤) شارل لالو، مبادئ علم الجمال، ص٥٠-٥١،٦٧-٧٠.

(٤٥) المصدر السابق، ص٩.

(٤٦) طالب احد المتطفلين في احدى الصحف الرسمية الصادرة في بغداد برفع نصب الحرية للفنان جواد سليم من ساحة التحرير، والافادة منه في صناعة القدور في سوق الصفارين.